

أحسن القصص

١- رؤيا عجيبة

كَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا ، وَكَانَ لَهُ أَحَدَ عَشَرَ أَخًا . وَكَانَ يُوسُفُ غُلَامًا جَمِيلًا ، وَكَانَ يُوسُفُ غُلَامًا ذَكِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ .

ذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى يُوسُفُ رُؤْيَا عَجِيبَةً .

رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ، وَرَأَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّهُمَا يَسْجُدُ لَهُ .

تَعَجَّبَ يُوسُفُ الصَّغِيرُ كَثِيرًا ! وَمَا فَهِمَ هَذِهِ الرُّؤْيَا كَيْفَ تَسْجُدُ الْكَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِرَجُلٍ ؟ ذَهَبَ يُوسُفُ الصَّغِيرُ إِلَى أَبِيهِ يَعْقُوبَ . وَحَكَى لَهُ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةَ .

﴿ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] .

وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبَ نَبِيًّا .

فَرِحَ يَعْقُوبُ بِهَذِهِ الرُّؤْيَا كَثِيرًا .

وَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ يَا يُوسُفُ ، فَسَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ . هَذِهِ الرُّؤْيَا بَشَارَةٌ بِعِلْمٍ

وَنبُوَّةٍ .

وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى جَدِّكَ إِسْحَاقَ ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى جَدِّكَ إِبْرَاهِيمَ .

وَإِنَّهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ وَيُنْعِمُ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ .

وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخًا كَبِيرًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ طَبَائِعَ النَّاسِ . وَكَانَ يَعْرِفُ كَيْفَ
يَغْلِبُ الشَّيْطَانَ ، وَكَيْفَ يَلْعَبُ الشَّيْطَانُ بِالْإِنْسَانِ .

فَقَالَ : يَا وَلَدِي ، لَا تَخْبِرْ بِهِ الرُّؤْيَا أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِكَ فَإِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ
وَيَكُونُونَ لَكَ عَدُوًّا .

٢ - حسد الإخوة

وَكَانَ يُوسُفُ لَهُ أَخٌ آخَرٌ مِنْ أُمَّهِ اسْمُهُ بَنِيَامِينَ .

وَكَانَ يَعْقُوبُ يُحِبُّهُمَا حُبًّا شَدِيدًا ، وَكَانَ لَا يُحِبُّ مِثْلَهُمَا أَحَدًا .

وَكَانَ الْإِخْوَةُ يَحْسُدُونَ يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ وَيَغْضَبُونَ .

كَانُوا يَقُولُونَ : لِمَاذَا يُحِبُّ أَبُونَا يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ أَكْثَرَ ؟

وَلِمَاذَا يُحِبُّ أَبُونَا يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ ، وَهُمَا صَغِيرَانِ ضَعِيفَانِ !

لِمَاذَا لَا يُحِبُّنَا مِثْلَ يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ نَحْنُ شَبَابٌ أَقْوِيَاءُ ، هَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ !

وَكَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا ، فَحَكَى الرُّؤْيَا لِإِخْوَتِهِ وَغَضِبَ الْإِخْوَةُ جِدًّا لَمَّا
سَمِعُوا الرُّؤْيَا وَاشْتَدَّ حَسَدُهُمْ .

وَاجْتَمَعَ الْإِخْوَةُ يَوْمًا وَقَالُوا : اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا بَعِيدَةً .

حِينَئِذٍ يَكُونُ أَبُوكُمْ لَكُمْ خَالِصًا ، وَيَكُونُ حُبُّهُ لَكُمْ خَالِصًا .

قَالَ أَحَدُهُمْ : لَا بَلَّ الْقُوَّةُ فِي بَثْرِ فِي طَرِيقٍ يَأْخُذُهُ بَعْضُ الْمَسَافِرِينَ .

وَوَافَقَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْإِخْوَةِ .

٣- وفد إلى يعقوب

وَلَمَّا اتَّفَقُوا عَلَىٰ هَذَا الرَّأْيِ جَاءُوا إِلَىٰ يَعْقُوبَ .
وَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَىٰ يُوسُفَ كَثِيرًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْإِخْوَةَ يَحْسُدُونَهُ
وَلَا يُحِبُّونَهُ .

وَكَانَ يَعْقُوبُ لَا يُرْسِلُ يُوسُفَ مَعَ الْإِخْوَةِ .
وَكَانَ يُوسُفُ يَلْعَبُ مَعَ أَخِيهِ وَلَا يَذْهَبُ بَعِيدًا .
وَكَانَ الْإِخْوَةُ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُمْ عَزَمُوا عَلَىٰ الشَّرِّ .
قَالُوا : يَا أَبَانَا لِمَاذَا لَا تَرْسِلُ مَعَنَا يُوسُفَ ؟
مَاذَا تَخَافُ !؟

هُوَ أَخُونَا الْعَزِيزُ ، وَأَخُونَا الصَّغِيرُ ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ أَبِي . وَالْإِخْوَةُ دَائِمًا
يَلْعَبُونَ جَمِيعًا ، فَلِمَاذَا لَا نَذْهَبُ نَحْنُ وَنَلْعَبُ جَمِيعًا ؟

﴿ أَرْسَلَهُ مَعَنَا عِدًّا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [يوسف: ١٢] .

وَكَانَ يَعْقُوبُ شَيْخًا كَبِيرًا ، وَكَانَ يَعْقُوبُ عَاقِلًا حَلِيمًا . وَكَانَ يَعْقُوبُ لَا
يُحِبُّ أَنْ يَبْعُدَ مِنْهُ يُوسُفُ .

وَكَانَ يَخَافُ عَلَىٰ يُوسُفَ كَثِيرًا .

فَقَالَ لِأَبْنَائِهِ :

﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٣] .

قَالُوا : أَبَدًا كَيْفَ يَأْكُلُهُ الذَّبُّ وَنَحْنُ حَاضِرُونَ ؟

وَكَيْفَ يَأْكُلُهُ ، وَنَحْنُ شُبَّانٌ أَقْوِيَاءُ ؟
وَأَذِنَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ .

٤ - إلى الغابة

وَفَرِحَ الْإِخْوَةُ كَثِيرًا لَمَّا أَذِنَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ .
وَذَهَبُوا إِلَى غَابَةِ وَأَلْقُوا يُوسُفَ فِي بئرٍ فِي الْغَابَةِ ، وَلَمْ يَرَحْمُوا يُوسُفَ الصَّغِيرَ ،
وَلَمْ يَرَحْمُوا يَعْقُوبَ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ .

وَكَانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغِيرًا ، وَكَانَ قَلْبُهُ صَغِيرًا .
وَكَانَتِ الْبئرُ عَمِيقَةً ، وَكَانَتِ الْبئرُ مُظْلِمَةً .
وَكَانَ يُوسُفُ وَحِيدًا .

وَلَكِنَ اللهُ بَشَّرَ يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ : لَا تَخْزَنُ وَلَا تَخَفُ .
إِنَّ اللهُ مَعَكَ ، وَسَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ .

سَيَحْضُرُ إِلَيْكَ الْإِخْوَةُ وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ .
وَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَأَلْقُوا يُوسُفَ فِي الْبئرِ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا :
مَاذَا نَقُولُ لِأَبِينَا ؟

قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ أَبُونَا يَقُولُ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ فَنَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ يَا
أَبَانَا قَدْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ .

وَأَفَقَ الْإِخْوَةُ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَالُوا : نَعَمْ نَقُولُ لَهُ : يَا أَبَانَا قَدْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ .

قَالَ بَعْضُ الْإِخْوَانِ : وَلَكِنْ مَا آيَةُ ذَلِكَ ؟

قَالُوا : آيَةُ ذَلِكَ الدَّمُ .

وَأَخَذَ الْأَخُوَّةَ كَبْشًا وَذَبَحُوهُ .

وَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَصَبَّغُوهُ .

وَفَرَحَ الْإِخْوَةُ جَدًّا : وَقَالُوا الْآنَ يُصَدِّقُ آبُونَا .

﴿ ٥ - أَمَامَ يَعْقُوبَ ﴾

﴿ وَجَاءَ وَأَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: ١٢] .

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ ﴾ .

[يوسف: ١٣]

﴿ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف: ١٨] ، وَقَالُوا : هَذَا دَمُ يُوسُفَ !

وَكَانَ أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ نَبِيًّا ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا .

وَكَانَ أَعْقَلُ مِنْ أَوْلَادِهِ .

وَكَانَ يَعْقُوبُ يَعْرِفُ أَنَّ الذِّبُّ إِذَا أَكَلَ إِنْسَانًا جَرَحَهُ وَشَقَّ قَمِيصَهُ .

وَكَانَ قَمِيصُ يُوسُفَ سَالِمًا . وَكَانَ مَصْبُوغًا فِي الدَّمِ .

فَعَرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ دَمٌ كَذِبٌ ، وَأَنَّ قِصَّةَ الذِّبِّ قِصَّةٌ مَوْضُوعَةٌ .

فَقَالَ لِأَوْلَادِهِ : بَلْ هَذِهِ قِصَّةٌ وَضَعْتُمُوهَا : ﴿ فَصَبَّرْ جَمِيلٌ ﴾ وَحَزِنَ يَعْقُوبُ

عَلَى يُوسُفَ حُزْنًا شَدِيدًا وَلَكِنَّهُ صَبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا .

٦- يوسف في البئر

وَرَجَعَ الإِخْوَةُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَتَرَكَوا يُوسُفَ فِي الْبَيْرِ وَأَكَلَ الإِخْوَةُ الطَّعَامَ ، وَنَامُوا عَلَى الْفِرَاشِ .

ويوسف في البئر ، ولا فراش ولا طعام .

وَنَسِيَ الإِخْوَانُ يُوسُفَ ، وَنَامُوا .

وَمَا نَامَ يُوسُفُ ، وَمَا نَسِيَ أَحَدًا .

وَبَقِيَ يَعْقُوبُ يَذْكُرُ يُوسُفَ ، وَبَقِيَ يُوسُفُ يَذْكُرُ يَعْقُوبَ .

وَكَانَ يُوسُفُ فِي الْبَيْرِ ، وَكَانَتِ الْبَيْرُ عَمِيقَةً .

وَكَانَتِ الْبَيْرُ فِي الْغَابَةِ ، وَكَانَتِ الْغَابَةُ مُوحِشَةً . وَكَانَ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ ،

وَكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِمًا .

٧- من البئر إلى القصر

وَكَانَتِ جَمَاعَةٌ تُسَافِرُ فِي هَذِهِ الْغَابَةِ .

وَعَطِشُوا فِي الطَّرِيقِ ، وَبَحِثُوا عَنْ بَيْرٍ .

وَرَأَوْا بَيْرًا ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا رَجُلًا لِيَأْتِيَ لَهُمْ بِالْمَاءِ .

جَاءَ الرَّجُلُ إِلَى الْبَيْرِ ، وَأَذَلَّى دَلْوَهُ .

وَنَزَعَ الدَّلْوَ ، فَإِذَا الدَّلْوُ ثَقِيلَةٌ !

وَأَخْرَجَهَا فَإِذَا فِي الدَّلْوِ غُلامٌ !

دَهَشَ الرَّجُلُ وَنَادَى .

﴿يُبَشِّرِي هَذَا غُلَامٌ﴾ [يوسف: ١٩].

وَفَرِحَ النَّاسُ جَدًّا وَأَخْفَوْهُ .

وَوَصَلُوا إِلَى مِصْرَ ، وَقَامُوا فِي السُّوقِ وَنَادَوْا :

مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْغُلَامَ ؟ مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْغُلَامَ ؟

اشْتَرَى الْعَزِيزُ يُوسُفَ بِدَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ .

وَبَاعَهُ التُّجَّارُ وَمَا عَرَفُوا يُوسُفَ .

وَذَهَبَ بِهِ الْعَزِيزُ إِلَى قَصْرِهِ ، وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرَمِي يُوسُفَ ، إِنَّهُ وَلَدٌ رَشِيدٌ .

﴿ ٨ - الوفاء والأمانة ﴾

وَرَاوَدَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ يُوسُفَ عَلَى الْخِيَانَةِ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ أَبِي ، وَقَالَ : كَلًّا !

أَنَا لَا أَخُونُ سَيِّدِي ، إِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ وَأَكْرَمَنِي .

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ .

وَعَضِبَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ وَشَكَتْ إِلَى زَوْجِهَا .

وَعَرَفَ الْعَزِيزُ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَاذِبَةٌ .

وَعَرَفَ أَنَّ يُوسُفَ أَمِينٌ .

فَقَالَ لِرَّوْجِهِ : ﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وَعُرِفَ يُوسُفُ فِي مِصْرَ بِجَمَالِهِ ، وَإِذَا رَأَهُ أَحَدٌ قَالَ : ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا

مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وَاشْتَدَّ غَضَبُ الْمَرْأَةِ وَقَالَتْ لِيُوسُفَ :

إِذْنًا تَذْهَبُ إِلَى السِّجْنِ !

قَالَ يُوسُفُ : ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣] .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ رَأَى الْعَزِيزُ أَنَّ يُرْسَلَ يُوسُفَ إِلَى السِّجْنِ .

وَكَانَ الْعَزِيزُ يَعْرِفُ أَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ .

وَدَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ .

٩- موعظة السجن

وَدَخَلَ يُوسُفَ السِّجْنَ ، وَعَرَفَ أَهْلَ السِّجْنِ جَمِيعًا أَنَّ يُوسُفَ شَابٌ كَرِيمٌ .

وَأَنَّ يُوسُفَ عِنْدَهُ عِلْمٌ عَظِيمٌ .

وَأَنَّ يُوسُفَ فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ رَحِيمٌ .

وَأَحَبَّ أَهْلَ السِّجْنِ يُوسُفَ وَأَكْرَمُوهُ .

وَفَرِحَ النَّاسُ بِيُوسُفَ وَعَظَّمُوهُ .

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ رَجُلَانِ وَقَصَّا عَلَيْهِ رُؤْيَاهُمَا : ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِي

أَعَصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ .

[يوسف: ٣٦]

وَسَأَلَ يُوسُفَ عَنِ التَّأْوِيلِ .

وَكَانَ يُوسُفُ عَالِمًا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا .

وَكَانَ يُوسُفَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ .

ووضعوا أربابًا كثيرةً من عند أنفسهم .

وقالوا هذا ربُّ البرِّ ، وهذا ربُّ البحرِ ، وهذا ربُّ الرِّزْقِ ، وهذا ربُّ
المطرِ .

وكان يوسفُ يرى كُلَّ ذلكَ ويضحكُ .

وكان يوسفُ يعلمُ كُلَّ ذلكَ ويبيكي .

وكان يوسفُ يريدُ أن يدعُوهم إلى الله .

وقد أرادَ الله أن يكونَ ذلكَ في السِّجْنِ .

ألا يستحقُّ أهلُ السِّجْنِ الموعظةَ ؟

ألا يستحقُّ أهلُ السِّجْنِ الرَّحمةَ ؟

أليسَ أهلُ السِّجْنِ عبادَ الله ؟

أليسَ أهلُ السِّجْنِ بني آدمَ ؟

كان يوسفُ في السِّجْنِ ، ولكنَّهُ كانَ حُرًّا جريئًا .

كان يوسفُ فقيرًا ، ولكنَّهُ كانَ جوادًا سخيا .

إنَّ الأنبياءَ يجهرونَ بالحقِّ في كُلِّ مكانٍ .

إنَّ الأنبياءَ يجودونَ بالخيرِ في كلِّ زمانٍ .

١٠- حكمة يوسف

قَالَ يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ :

إِنَّ الْحَاجَةَ سَاقَتِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيَّ .

وَإِنَّ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يَلِينُ وَيَخْضَعُ .

وَإِنَّ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يُطِيعُ وَيَسْمَعُ .

فَلَوْ قُلْتُ لَهُمَا شَيْئًا لَسَمِعَا وَسَمِعَ أَهْلُ السِّجْنِ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَسْتَعْجَلْ .

بَلْ قَالَ لَهُمَا :

أَنَا أَخْبَرُكُمْ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا طَعَامُكُمْ .

فَجَلَسَا وَاطْمَأَنَّنَا .

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا يُوسُفُ :

أَنَا عَالِمٌ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا ، ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧] .

فَفَرِحَا وَاطْمَأَنَّنَا .

وَهُنَا وَجَدَ يُوسُفُ الْفُرْصَةَ فَبَدَأَ مَوْعِظَتَهُ .

١١- موعظة التوحيد

قَالَ يُوسُفُ : ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧] .

وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ كُلَّ أَحَدٍ .

إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ إِلَى الْمُشْرِكِ .

هَلْ تَعْرِفَانِ لِمَاذَا عَلَّمَنِي رَبِّي ؟

لَأَنِّي تَرَكْتُ طَرِيقَ أَهْلِ الشُّرْكِ .

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨] .

﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨] .

قَالَ يُوسُفُ :

وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَيْسَ لَنَا فَقَطْ .

بَلْ هُوَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا .

﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ .

[يوسف: ٣٨]

وَهُنَا وَقَفَ يُوسُفُ وَسَأَلَهُمَا :

تَقُولُونَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرِّزْقِ وَرَبُّ الْمَطَرِ .

وَنَحْنُ نَقُولُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

﴿يَصْحَبِي السَّجْنِ عَرَبَاتٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

[يوسف: ٣٩]

أَيْنَ رَبِّ الْبَرِّ وَرَبِّ الْبَحْرِ وَرَبِّ الرِّزْقِ وَرَبِّ الْمَطْرِ؟

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ .

انظروا إلى الأرضِ وإلى السَّمَاءِ وانظروا إلى الإنسان .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

وَكَيفَ رَبُّ الْبَرِّ وَرَبِّ الْبَحْرِ وَرَبِّ الرِّزْقِ وَرَبِّ الْمَطْرِ؟

﴿أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ .

الحُكْمُ لله ، وَالْمَلِكُ لله ، الْأَرْضُ لله ، الْأَمْرُ لله .

﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ .

﴿ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ﴾ .

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

١٢- تاويل الرويا

وَلَمَّا فَرَغَ يُوسُفُ مِنْ مَوْعِظَتِهِ أَخْبَرَهُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا .

قَالَ : ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ فَاسْفَى رَبَّهُ، خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١] .

﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ [يوسف: ٤١] .

وَقَالَ لِلأُولَى : ﴿أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] .

وَخَرَجَ الرَّجُلَانِ ، فَكَانَ الأُولَى سَاقِيًا لِلْمَالِكِ وَصَلِبَ الآخَرُ .

وَنَسِيَ السَّاقِي أَنَّهُ يَذْكَرُ يُوسُفَ عِنْدَ الْمَلِكِ .

وَأَقَامَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ سِنِينَ .

١٣- رؤيا الملك

وَرَأَى مَلِكٌ مِصْرَ رُؤْيَا عَجِيبَةٍ .
 رَأَى فِي الْمَنَامِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ .
 وَيَأْكُلُ هَذِهِ الْبَقَرَاتِ سَبْعُ بَقَرَاتٍ عِجَافٍ .
 وَرَأَى الْمَلِكُ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ يَابِسَاتٍ .
 تَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةِ وَسَأَلَ جُلَسَاءَهُ عَنْ تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا .
 قَالُوا : هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ ، النَّائِمُ يَرَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا حَقِيقَةَ لَهَا .
 وَلَكِنْ قَالَ السَّاقِي : لَا ، بَلْ أُخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا .
 وَذَهَبَ السَّاقِي إِلَى السِّجْنِ ، وَسَأَلَ يُوسُفَ عَنْ تَأْوِيلِ رُؤْيَا الْمَلِكِ .
 كَانَ يُوسُفُ جَوَادًا كَرِيمًا مُشْفِقًا عَلَى خَلْقِ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ بِالتَّأْوِيلِ .
 وَكَانَ يُوسُفُ جَوَادًا كَرِيمًا لَا يَعْرِفُ الْبُحْلَ .
 فَأَخْبَرَ يُوسُفُ بِالتَّأْوِيلِ وَدَلَّ عَلَى التَّدْبِيرِ .
 قَالَ : تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ، وَاتْرَكُوا مَا حَصَدْتُمْ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا
 تَأْكُلُونَ .

وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ عَامٌ قَحْطٌ ، عَامٌ تَأْكُلُونَ فِيهِ مَا خَزَنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا .
 وَيَطُولُ هَذَا الْقَحْطُ إِلَى سَبْعِ سِنِينَ .
 وَبَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي النَّصْرُ وَيُخَصِّبُ النَّاسُ .
 وَذَهَبَ السَّاقِي وَأَخْبَرَ الْمَلِكَ بِتَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ .

١٤- الملك يرسل إلى يوسف

وَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هَذَا التَّأْوِيلَ وَالتَّدْبِيرَ فَرِحَ جَدًّا ، وَقَالَ : مَنْ صَاحِبُ هَذَا التَّأْوِيلِ ؟

وَقَالَ الْمَلِكُ : مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي نَصَحَ لَنَا وَدَلَّ عَلَيَّ التَّدْبِيرَ ؟
قَالَ السَّاقِي : هَذَا يُوسُفُ الصِّدِّيقُ ، وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنِّي سَأَكُونُ سَاقِيًا لِسَيِّدِي الْمَلِكِ .

وَاشْتَقَّ الْمَلِكُ إِلَى لِقَاءِ يُوسُفَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى يُوسُفَ وَقَالَ الْمَلِكُ : ﴿ ائْتُونِي بِهِ ﴾ اسْتَخْرِضْهُ لِنَفْسِي .

١٥- يوسف يسأل التفتيش

وَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ إِلَى يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ !
مَا رَضِيَ يُوسُفُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ هَكَذَا .
وَيَقُولُ النَّاسُ : هَذَا يُوسُفُ ! هَذَا كَانَ أُمْسٍ فِي السِّجْنِ ، إِنَّهُ خَانَ الْعَزِيزَ .
إِنَّ يُوسُفَ كَانَ كَبِيرَ النَّفْسِ أَبِيًّا ، إِنَّ يُوسُفَ كَانَ كَبِيرَ الْعَقْلِ ذَكِيًّا .
وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مَكَانَ يُوسُفَ فِي السِّجْنِ وَجَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ .
وَقَالَ لَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ : إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ وَيَتَطَرَّكَ لِأَسْرَعِ هَذَا الرَّجُلِ إِلَى بَابِ السِّجْنِ وَخَرَجَ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يُسْرِعْ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَسْتَعْجَلْ .

بَلْ قَالَ لِرَسُولِ الْمَلِكِ : أَنَا أُرِيدُ التَّفْتِيشَ ، أَنَا أُرِيدُ الْبَحْثَ عَنْ قَضِيَّتِي .
 وَسَأَلَ الْمَلِكَ عَنْ يُوسُفَ ، وَعَلِمَ الْمَلِكُ وَعَلِمَ النَّاسُ أَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ .
 وَخَرَجَ يُوسُفُ بَرِيئًا وَأَكْرَمَهُ الْمَلِكُ .

١٦. على خزائن الأرض

وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمَانَةَ قَلِيلَةٌ فِي النَّاسِ .
 وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَمُ أَنَّ الْخِيَانَةَ كَثِيرَةٌ فِي النَّاسِ .
 وَكَانَ يُوسُفُ يَرَى أَنَّ النَّاسَ يَخُونُونَ فِي أَمْوَالِ اللَّهِ .
 وَكَانَ يَرَى أَنَّ فِي الْأَرْضِ خَزَائِنَ كَثِيرَةً وَلَكِنَّهَا ضَائِعَةٌ .
 إِنَّهَا ضَائِعَةٌ لِأَنَّ الْأُمَرَاءَ ^(١) لَا يَخَافُونَ اللَّهَ فِيهَا .
 فَتَأْكُلُ كِلَابُهُمْ وَلَا يَجِدُ النَّاسُ مَا يَأْكُلُونَ .
 وَتَلْبَسُ بُيُوتُهُمْ ، وَلَا يَجِدُ النَّاسُ مَا يَلْبَسُونَ .
 وَلَا يَنْفَعُ النَّاسَ بِخَزَائِنِ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ كَانَ حَفِيظًا عَلِيمًا .
 وَمَنْ كَانَ حَفِيظًا وَمَا كَانَ عَلِيمًا لَا يَعْلَمُ أَيْنَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ وَكَيْفَ يَنْتَفِعُ
 بِهَا .

وَمَنْ كَانَ عَلِيمًا وَمَا كَانَ حَفِيظًا يَأْكُلُ مِنْهَا وَيَخُونُ فِيهَا .
 وَكَانَ يُوسُفُ حَفِيظًا عَلِيمًا .
 وَكَانَ يُوسُفُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَتْرَكَ الْأُمَرَاءَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ .
 وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى النَّاسَ يَجُوعُونَ وَيَمُوتُونَ .

(١) الولاة وأصحاب الأمر .

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ .

فَقَالَ لِلْمَلِكِ :

﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [يوسف: ٥٥] .

وَهَكَذَا كَانَ يُوسُفُ أَمِينًا لِحَزَائِنِ مِصْرَ .

وَاسْتَرَا حِ النَّاسِ جِدًّا وَحَمِدُوا اللَّهَ .

١٧- جاء إخوة يوسف

وَكَانَ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ مَجَاعَةٌ كَمَا أَخْبَرَ يُوسُفُ .

وَسَمِعَ أَهْلُ الشَّامِ وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّ فِي مِصْرَ رَجُلًا رَحِيمًا . وَأَنَّ فِي مِصْرَ

جَوَادًا كَرِيمًا ، وَهُوَ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ .

وَكَانَ النَّاسُ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُونَ الطَّعَامَ ^(١) وَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إِلَى

مِصْرَ بِالْمَالِ لِيَأْتُوا بِالطَّعَامِ .

وَبَقِيَ بَنِيَامِينَ عِنْدَ وَالِدِهِ لِأَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ يُحِبُّهُ جِدًّا ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَبْعَدَ

عَنْهُ ، وَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ .

وَتَوَجَّهَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى يُوسُفَ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ أَخُوهُمْ يُوسُفُ .

وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ يُوسُفُ الَّذِي كَانَ فِي الْبَيْرِ .

وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ .

وَكَيفَ لَا يَمُوتُ وَقَدْ كَانَ فِي الْبَيْرِ .

كَانَ فِي الْبَيْرِ وَكَانَتِ الْبَيْرُ عَمِيقَةً .

(١) الحبوب .

وَكَانَتِ الْبَيْتُ فِي الْغَابَةِ ، وَكَانَتِ الْغَابَةُ مُوحِشَةً .
وَكَانَ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ ، وَكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِمًا .

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [يوسف: ٥٨] .
كَانُوا مُنْكَرِينَ لِيُوسُفَ لَا يَعْرِفُونَهُ ، وَلَكِنْ مَا أَنْكَرَهُمْ يُوسُفُ بَلْ عَرَفَهُمْ .
عَرَفَ يُوسُفُ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَلْقَوْهُ فِي الْبَيْتِ .
وَأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ قَتْلَهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَفِظَهُ .
وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقُلْ لَهُمْ شَيْئًا وَلَمْ يَفْضَحْهُمْ .

١٨- بين يوسف وإخوانه

وَكَلَّمَهُمْ يُوسُفُ وَقَالَ لَهُمْ :

مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ ؟

قَالُوا : مِنْ كَنْعَانَ !

قَالَ : مَنْ آبَاؤُكُمْ ؟

قَالُوا : يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) .

قَالَ : هَلْ لَكُمْ أَخٌ آخَرُ ؟

قَالُوا : نَعَمْ لَنَا أَخٌ اسْمُهُ بِنْيَامِينُ !

قَالَ : لِمَاذَا مَا جَاءَ مَعَكُمْ ؟

قَالُوا : لِأَنَّ وَالِدَنَا لَا يَتْرُكُهُ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَبْعَدَ عَنْهُ .

قَالَ : لِأَيِّ شَيْءٍ لَا يَتْرُكُهُ هَلْ هُوَ وَلَدٌ صَغِيرٌ جِدًّا ؟

قَالُوا : لَا ، وَلَكِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ يُوسُفُ ، ذَهَبَ مَعَنَا مَرَّةً ، وَذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ

وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّبَابُ .

وَضَحِكَ يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

وَاشْتَقَاقَ يُوسُفُ إِلَى أَخِيهِ بَنِيَامِينَ .

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَمْتَحِنَ يَعْقُوبَ مَرَّةً ثَانِيَةً .

فَأَمَرَ لَهُمَ يُوسُفُ بِالطَّعَامِ .

وَقَالَ لَهُمْ : ﴿ ائْتُونِي بِأَخْلَافِكُمْ مِنْ أَيْكُمُ ﴾ [يوسف: ٥٩] .

وَلَا تَجِدُونَ طَعَامًا إِذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ .

وَأَمَرَ يُوسُفُ بِمَالِهِمْ فَوَضَعَ فِي مَتَاعِهِمْ .

١٩- بين يعقوب وأبنائه

وَرَجَعُوا إِلَى آبَائِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِالْخَبْرِ وَقَالُوا لَهُ : أَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانًا ، وَإِلَّا لَا نَجِدُ خَيْرًا عِنْدَ الْعَزِيزِ .

وَطَلَبُوا مِنْ يَعْقُوبَ بَنِيَامِينَ وَقَالُوا : ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [يوسف: ٦٣] .

قَالَ يَعْقُوبُ : ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

[يوسف: ٦٤]

هَلْ نَسِيتُمْ قِصَّةَ يُوسُفَ . أَتَحْفَظُونَ بَنِيَامِينَ كَمَا حَفِظْتُمْ يُوسُفَ .

﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤] .

وَوَجَدُوا مَالَهُمْ فِي مَتَاعِهِمْ فَقَالُوا لِأَبِيهِمْ :

إِنَّ الْعَزِيزَ رَجُلٌ كَرِيمٌ ، قَدْ رَدَّ مَالَنَا وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَّا ثَمَنًا .

أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيَامِينَ نَأْخُذْ حَقَّهُ أَيضًا .

قَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تَعَاهِدُوا اللَّهَ أَنَّكُمْ تَرْجِعُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ تَغْلِبُوا عَلَى أَمْرِكُمْ .

وَعَاهَدُوا اللَّهَ وَقَالَ يَعْقُوبُ : ﴿ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف: ٦٦] .

وَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ : ﴿ وَقَالَ بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ .

[يوسف: ٦٧]

﴿ ٢٠ ﴾ بنيامين عند يوسف

وَدَخَلَ الْإِخْوَةَ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ كَمَا أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ وَوَصَلُوا إِلَى يُوسُفَ .
وَلَمَّا رَأَى يُوسُفَ بَنِيَامِينَ فَرِحَ جِدًّا وَأَنْزَلَهُ فِي بَيْتِهِ .

وَقَالَ يُوسُفُ لِبَنِيَامِينَ : ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ﴾ [يوسف: ٦٩] ، وَاطْمَأَنَّ بَنِيَامِينُ .
وَلَقِيَ يُوسُفَ بَنِيَامِينَ بَعْدَ زَمَنِ طَوِيلٍ . فَذَكَرَ أُمَّهُ وَأَبَاهُ وَذَكَرَ بَيْتَهُ وَذَكَرَ صِغَرَهُ .
وَأَرَادَ يُوسُفُ أَنْ يَبْقَى عِنْدَهُ بَنِيَامِينُ يَرَاهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَكَلِّمَهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ بَيْتِهِ .
وَلَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ ، وَبَنِيَامِينُ رَاجِعٌ غَدًا إِلَى كَنْعَانَ ؟

وَكَيفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ ، وَالْإِخْوَةَ عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَى أَنْ يَرْجِعُوا بِهِ مَعَهُمْ ؟
وَكَيفَ يُمَكِّنُ لِيُوسُفَ أَنْ يَحْبِسَ بَنِيَامِينَ عِنْدَهُ بِغَيْرِ سَبَبٍ ؟
وَيَقُولُ النَّاسُ : قَدْ حَبَسَ الْعَزِيزُ كَنْعَانِيًّا بِغَيْرِ سَبَبٍ ، إِنَّ هَذَا لَطَلْمٌ عَظِيمٌ .
وَلَكِنَّ يُوسُفَ كَانَ ذَكِيًّا عَاقِلًا .

كَانَ عِنْدَ يُوسُفَ إِنَاءٌ ثَمِينٌ ، وَكَانَ يَشْرَبُ فِيهِ ، وَضَعَ هَذَا الْإِنَاءَ فِي مَتَاعِ
بَنِيَامِينَ ، وَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ .

والتفت الإخوة، وقالوا ماذا تفقدون؟

قالوا: ن فقد ضواع «إناء» الملك، ولمن جاء به حمل بعير.

﴿ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ﴾ .

[يوسف: ٧٣]

﴿ قالوا فما جزأوه إن كنتم كاذبين ﴾ [يوسف: ٧٤].

﴿ قالوا جزأوه من وجد في رحله، فهو جزأوه، كذلك نجزي الظالمين ﴾ .

[يوسف: ٧٥]

وخرج الإناء من متاع بنيامين فحجل الإخوة.

ولكن قالوا من غير حجل:

إن يسرق «بنيامين» فقد سرق أخ له «يوسف» من قبل. وسمع يوسف هذا البهتان فسكت ولم يغضب، وكان يوسف كريماً حليماً.

﴿ قالوا يتأيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه، إنا نراك من

المحسنين ﴾ [يوسف: ٧٨].

﴿ قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متعنا عنده، إنا إذا الظالمون ﴾ .

[يوسف: ٧٩]

وهكذا بقي بنيامين عند يوسف، وفرح الأخوان جميعاً.

إن يوسف كان وحيداً منذ زمن طويل لا يرى أحداً من أهله.

وقد ساق الله إليه بنيامين أفلاً يخسسه عنده يراه ويكلمه. وهل من الظلم

أن يقيم أخ عند أخيه أبداً؟ أبداً؟

٢١- إلى يعقوب

وَتَحَيَّرَ الْإِخْوَةَ كَيْفَ يَرْجِعُونَ إِلَى آبِيهِمْ!؟

وَفَكَرَ الْإِخْوَةُ مَاذَا يَقُولُونَ لِأَبِيهِمْ!؟

إِنَّهُمْ فَجَعُوهُ أَمْسَ فِي يُوسُفَ ، أَفِيُفْجَعُونَهُ الْيَوْمَ فِي بَنِيَامِينَ !

أَمَّا كَبِيرُهُمْ ، فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى يَعْقُوبَ وَقَالَ لِإِخْوَتِهِ :

﴿ أَرْجِعُوا إِلَى آبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ أُنْتِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا

كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ [يوسف: ٨١] .

وَلَمَّا سَمِعَ يَعْقُوبُ الْقِصَّةَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَدَّ فِي ذَلِكَ .

وَأَنَّ اللَّهَ مُمْتَحِنُهُ .

أَمْسَ فُجِعَ فِي يُوسُفَ ، وَالْيَوْمَ يُفْجَعُ فِي بَنِيَامِينَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ عَلَيْهِ

مُصِيبَتَيْنِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُفْجَعُهُ فِي ابْنَيْنِ .

إِنَّ اللَّهَ لَا يُفْجَعُهُ فِي ابْنَيْنِ كَيُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ .

إِنَّ اللَّهَ فِي ذَلِكَ يَدَّ حَفِيَّةً .

إِنَّ اللَّهَ فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ مَخْفِيَّةٌ .

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ يَمْتَحِنُ عِبَادَهُ ، ثُمَّ يَسُرُّهُمْ وَيُنْعِمُ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ إِنَّ الْإِبْنَ الْكَبِيرَ بَقِيَ فِي مِصْرَ أَيْضًا ، وَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى كَنْعَانَ .

أَفِيُفْجَعُ فِي الثَّلَاثِ ، أَيْضًا وَقَدْ فُجِعَ مِنْ قَبْلُ فِي اثْنَيْنِ .

إِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ .

وَهُنَا اطمأنَّ يَعْقُوبُ وَقَالَ :

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ .

٢٢- يظهر السر

وَلَكِنْ يَعْقُوبَ كَانَ بَشَرًا فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ بَشِيرٌ ، لَا قِطْعَةَ حَجَرٍ .

فَذَكَرَ يُوسُفَ وَتَجَدَّدَ حُزْنُهُ وَقَالَ : ﴿يَأْسَفُنِي عَلَى يُوسُفَ ؟

وَلَا مَهْ أَبْنَاءَهُ وَقَالُوا : إِنَّكَ لَا تَزَالُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَهْلِكَ .

قَالَ يَعْقُوبُ :

﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

[يوسف: ٨٦]

وَكَانَ يَعْقُوبُ يَعْلَمُ أَنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ ، وَكَانَ يَعْقُوبُ لَهُ رَجَاءٌ كَبِيرٌ فِي اللَّهِ .

وَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إِلَى مِصْرَ ، لِيَبْحَثُوا عَنْ يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ وَيَجْتَهِدُوا فِي

ذَلِكَ .

وَمَنْعَهُمْ يَعْقُوبُ مِنْ أَنْ يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَذَهَبَ الْإِخْوَةُ إِلَى مِصْرَ مَرَّةً

ثَالِثَةً .

وَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ، وَشَكَّوْا إِلَيْهِ فَقَرَّهُمْ وَمُصِيبَتَهُمْ وَسَأَلُوهُ الْفَضْلَ .

وَهُنَا هَاجَ الْحُزْنَ وَالْحُبُّ فِي يُوسُفَ وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ .

أَبْنَاءَ أَبِي وَأَبْنَاءَ الْأَنْبِيَاءِ يَشْكُونَ فَقَرَّهُمْ ، وَمُصِيبَتَهُمْ إِلَى مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ .

إِلَى مَتَى أَخْفَى الْأَمْرَ عَنْهُمْ ، وَإِلَى مَتَى أَرَى حَالَهُمْ وَإِلَى مَتَى لَا أَرَى أَبِي ؟

لَمْ يَمْلِكْ يُوسُفُ نَفْسَهُ وَقَالَ لَهُمْ :

﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف: ٨٩].
 وَكَانَ الْإِخْوَةُ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا السِّرَّ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا يُوْسُفُ وَنَحْنُ .
 فَعَلِمُوا أَنَّهُ يُوْسُفُ .

سُبْحَانَ اللَّهِ ! هَلْ يُوْسُفُ حَيٌّ ، أَمَا مَاتَ فِي الْبَيْتِ .

يَا سَلَامُ ! هَلْ يُوْسُفُ هُوَ عَزِيزٌ مِصْرَ ؟

هُوَ الَّذِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ؟

هُوَ الَّذِي كَانَ يَأْمُرُ لَنَا بِالطَّعَامِ ؟

وَمَا بَقِيَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ أَنَّ الَّذِي يُكَلِّمُهُمْ هُوَ يُوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ !

﴿ قَالُوا أَيْ تِلْكَ لِأَنَّ يُوْسُفَ ﴾ .

قَالَ : ﴿ أَنَا يُوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ

اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠] .

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴾ [يوسف: ٩١] .

وَمَا لَأَمْهَمَّ يُوْسُفَ عَلَى فِعْلَتِهِمْ ، بَلْ قَالَ :

﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢] .

٢٣- يوسف يرسل إلى يعقوب

وَاشْتَأَقَ يُوسُفُ إِلَى لِقَاءِ يَعْقُوبَ ، وَكَيْفَ لَا يَشْتَأَقُ إِلَيْهِ وَقَدْ طَالَ الْفِرَاقُ .
وَلِمَاذَا يَصْبِرُ الْآنَ وَقَدْ ظَهَرَ السِّرُّ .
وَكَيفَ يَطِيبُ لَهُ الشَّرَابُ وَالطَّعَامُ ، وَأَبُوهُ لَا يَطِيبُ لَهُ شَرَابٌ وَلَا طَعَامٌ وَلَا
مَنَامٌ .

قَدْ انْكَشَفَ السِّرُّ ، وَقَدْ ظَهَرَ السِّرُّ ، وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُ يَعْقُوبَ .
وَكَانَ يَعْقُوبُ قَدْ عَمِيَ مِنْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ .
فَقَالَ يُوسُفُ :

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنْوِي بِأَهْلِكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف: ٩٣] .

٢٤- يعقوب عند يوسف

وَلَمَّا سَارَ الرَّجَالُ بِقَمِيصِ يُوسُفَ إِلَى كِنْعَانَ .
أَحْسَّ يَعْقُوبُ رَائِحَةَ يُوسُفَ ، وَقَالَ : ﴿ إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ .
[يوسف: ٩٤]

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ [يوسف: ٩٥] .
وَلَكِنْ كَانَ يَعْقُوبُ صَادِقًا : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ
بَصِيرًا قَالَ لِمَ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٩٦] .
﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف: ٩٧] .

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٨].

وَلَمَّا وَصَلَ يَعْقوبُ إِلَى مِصْرَ اسْتَقْبَلَهُ يُوسُفُ ، وَلَا تَسْأَلُ عَنْ فَرْحِهِمَا
وَسُرُورِهِمَا .

وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا فِي مِصْرَ وَكَانَ يَوْمًا مُبَارَكًا .

وَرَفَعَ يُوسُفُ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَوَقَعُوا كُلُّهُمْ سُجَّدًا لِيُوسُفَ .

وَقَالَ يُوسُفُ : ﴿ هَذَا أَنَا وَبِلِ رَأَيْتَنِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠].

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ .

وَحَمِدَ يُوسُفُ اللَّهَ حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا .

وَشَكَرَ يُوسُفُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا عَظِيمًا .

وَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَأَلُّ يَعْقُوبَ فِي مِصْرَ زَمَنًا طَوِيلًا .

وَمَاتَ يَعْقُوبُ وَرَزَّوَجُهُ فِي مِصْرَ .

٢٥- حسن العاقبة

وَلَمْ يَشْغَلْ يُوسُفُ هَذَا الْمَلِكُ الْعَظِيمُ عَنْ اللَّهِ وَلَمْ يُغَيِّرْهُ .

وَكَانَ يُوسُفُ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَعْبُدُهُ وَيَخَافُهُ .

وَكَانَ يُوسُفُ يَحْكُمُ بِحُكْمِ اللَّهِ وَيَنْفِذُ أَوَامِرَ اللَّهِ .

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَرَى الْمَلِكَ كَثِيرًا وَلَا يَعُدُّهُ شَيْئًا كَبِيرًا .

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ مَلِكًا وَيُحْشَرَ مَعَ الْمُلُوكِ .

بَلْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ عَبْدًا وَيُحْشَرَ مَعَ الصَّالِحِينَ .

وَكَانَ دُعَاءُ يُوسُفَ :

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ
أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].
وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ مُسْلِمًا ، وَالْحَقُّهُ بِآبَائِهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم .
